المبحث الثاني

الترادف بين القرآن الكريم والتوراة

لـ التوراة

من سمات لغة التوراة أنها تثني وتثلث القصة الواحدة أو المسألة القضائية الواحدة . وفي جميع هذه الحالات تميل التوراة إلى التلوين والتنويع ، وقد أشارت التوسافوت [٣٠] إلى الكلمتين المترادفتين " נשך ربا – و תרבית مرابحة " اللتين وردتا متجاورتين في نص واحد : אל-תיקח מאתו נשך ותרבית ויראת מאלוהיך וחי אחיך עמך : את כספך לא – תיתן לו בנשך ובמרבית לא תיתן אוכלך لا تأخذ منه ربا ولا مرابحة بل اخش إلهك فيعيش أخوك معك : فضتك لا تعطه بالربا وطعامك لا تعط بالمرابحة : (اللاويين ٢٥ : ٣٦- ٣٧) – بقولها : " إن طريقة قراءة النص بلغة مثناة هي الأفضل " [٣١] ؛ فإذا كان مكتوب في سفر التكوين (٧ : ١٧) וירבו המים وتكاثرت المياه " نجد في الفقرة التالية : ויגברו המים وتعاظمت المياه " (٧: ١٨) ויגוע وأهلك (٦: ١٧) وجاء في الفقرة التالية : " מתו ماتوا " (٦: ١٨) ؛ وكذلك الأمر في إصحاحات مختلفة : " אשר בראתי الذي خلقته " (التكوين ٦: ٧) ؛ " אשר עשיתי الذي عملته (٦: ٧ ؛ ٧: ٤) ؛ הגמיאני נא מעט מים اسقيني قليل ماء (التكوين ٢٤ : ١٧) - השקיני נא מעט מים اسقيني قليل ماء (٢٤ : ٤٣) . [٣٢]

وتستعمل التوراة لتقوية المعنى ، مترادفين متتابعين للتعبير عن معنى واحد مثل : " איום ונורא تهديد ووعيد " ؛ " אימה ופחד خوف ورهبة " ؛ " צדק ומשפט عدل وإنصاف " ؛ " בושה וכלימה خجل واستحياء " ؛ ويحتمل وجود جناس حرفي (٣٣) بين المترادفين مثل : " ששון ושמחה بهجة وسعادة " ؛ " עפר ואפר تراب وغبار " ؛ " זולל וסובא شره وسكير " ؛ " טעם ודעת منطق

وعلم " ؛ " שוד ושבר سرقة ومصيبة " ؛ " הוד והדר مجد وشرف ".

وتنتج الأحداث التاريخية الخاصة بكل لغة مجموعات من الكلمات المترادفة ، فقد نشأت في العبرية مجموعات كبيرة من المترادفات : مجموعة بلغة التوراة وأخرى بالعبرية المتأخرة ، نتيجة اختلاط المعجم التوراوي والمعجم المشناوي .

إن إحدى أسس الشعر التوراوي ، وبقدر ما أيضا النثر الأدبي التوراوي ، هو التقابل ، أي تقسيم الفقرة إلى وحدات تقابلية من الأشطر تعبر عن فكرة واحدة بكلمات مختلفة ، على سبيل المثال :

יערוף כמטר לקחי / תזל כטל אמרתי

يهطل كالمطر تعليمي / ويقطر كالندى كلامي (التثنية ٣٢ : ٢)

בני תורתי אל תשכח / ומצוותי יצור לבך

يا ابني لا تنس شريعتي / بل ليحفظ قلبك وصاياي (الأمثال ٣ : ١)

למה רגשו גוים / ולאומים יהגו ריק

لماذا ارتجت الأمم / وتفكر الشعوب في الباطل (المزامير ٢ : ١)

ואם בשנאה יהדפו ..... או באיבה

وإن دفعه بكراهية ..... أو ضربه بعداوة (العدد ٣٥ : ٢٠ – ٢١)

وقد أدى هذا النظام إلى استعمال أزواج من الكلمات المتطابقة أو القريبة في معناها : " ערף – נזל " ، לקח – אמרה " ؛ " תורה – מצווה " ؛ " גוי – לאום " ؛ " שנאה – איבה " .[٣٤]

من هنا نشأت في حصيلة كلمات التوراة أزواج كثيرة من الكلمات المترادفة ؛ منها كلمة تنسب إلى لغة النثر ، وكلمة خاصة بلغة الشعر وكلمة أخرى قريبة منهما في المعنى في حالات كثيرة تعود إلى الارامية أو الأوجاريتية . ومن أمثلة ذلك : (٣٥)

الشعر	النثر	المعنى	الشعر	النثر	المعنى

חזה	ראה	رأى	צעד	הלך	ذهب
חיוה	אמר	قال	פז׳חרוץ	זהב	ذهب
אנוש	איש-אדם	إنسان	אתה	בוא	جاء
האזין	שמע	سمع	לאום	עם	شعب
פעל	עשה	فعل	טרף	אכל	أكل
אמרה	דבר	قول	מעללים	מעשים	أفعال
הוה	היה	كان			

وقد أشار " كاسوتو " إلى أن كثيرا من هذه الثنائيات مشتركة بين العبرية التوراوية والأوجاريتية ، مثل : ארץ - עפר أرض تراب ؛ עולם - דור ודור إلى الأبد ؛ אויב - צר ، צרור ، קם ، מתקומם عدو ؛ ראש - קדקוד رأس ؛ כוס - קובעת كأس ؛ טל - רביבים رذاذ المطر ؛ אהלים - משכנות خيام ؛ ענה - השיב أجاب ؛ ירא - שתע فزع ... ورأى كاسوتو في اشتراك المترادفات الثنائية بين العبرية والأوجاريتية دليلا على أن الأدب التوراوي هو استمرار للتراث الأدبي الكنعاني .[٣٦]

أما المجموعة الثانية من المترادفات فقد نشأت من إلتقاء لغة التوراة ولفة الأحبار ، إذ استعملت لغة الأحبار كلمات مختلفة من لغة التوراة ، أو استعملت بشكل ثابت كلمات نادرة الاستعمال في التوراة ، لذلك عندما ورثت العبرية الحديثة جميع المصادر القديمة توفرت فيها ثنائيات كثيرة من الكلمات المترادفة ، واحدة توراوية وأخرى مشناوية[٣٧] . ومن أمثلة ذلك :

لغة التوراة	لغة الأحبار	المعنى
أسماء وأدوات		
אויל	טיפש	غبي
איה ، איפה	איכן	أين
אניה	ספינה	سفينة
אף	חוטם	أنف

ארץ	עולם	أرض
בטן	כרס	بطن
גבול	מצרים ، ספר	حدود
גדוד	גיס	كتيبة
דיבה	לשון הרע	نميمة
דומן	זבל	زبل
דרך	סטרטה	طريق
חבול ، עבוט	משכון	رهن
חג	יום טוב	عيد
חוקים	נימוסיות	فضائل
חרב	סיף	سيف
כסף	ממון	مال
מלאך	שליח	رسول
מנחה	דורון	هبة
נכרי	גוי	غريب
עץ	אילן	شجرة
עת	זמן	وقت
צום	תענית	صوم
שמלה	אצטלית	رداء
שמש	חמה	شمس
תמיד	תדיר	دائما
תמר	דקל	تمر - بلح
الأفعال		
אסף	כנס	جمع
אסר	חבש	حبس
בוא	נכנס	جاء
זוב	שפע	سال
חפץ	רצה	أراد

חפש	פשפש	بحث عن
חרה	הקפיד	اغتاظ
כחש	כפר	أنكر
כיפר	מחל	غفر
לקח	סילק ، נטל ، קיבל	أخذ
קרה	אירע	حدث
שוב	חזר	عاد
שפט	דן	قضى

أحيانا تستبدل الكلمة المستحدثة في لغة الأحبار بالكلمة التوراوية بكل استعمالاتها ، مثل : " טיפש غبي " ، " איכן أين " ، " ספינה سفينة " ، " חוטם أنف " ، " כנס جمع " ، " חבש حبس " ؛ وأحيانا أخرى نأخذ جزءا من دلالتها مثل : " נכנס دخل " بدلا من " בוא جاء " وذلك فقط بدلالة العبور من الخارج إلى الداخل أي بمعنى : " עבר מן החוץ לפנים " ، وكذلك " שליח رسول " بدلا من " מלאך ملاك " – فقط عندما يكون المقصود برسول إنسان ، و " דורון هبة " تأتي عوضا عن " מנחה هدية " فقط عندما تكون الهدية لشخص أو لسلطة ، و " אילן شجرة " تأتي عوضا عن עץ خشب وذلك عندما يكون المقصود الشجرة كنبات لا كخشب ..... وفي تلك الحالات تواصل الكلمة التوراوية استعمالها في الجزء المتبقي من معناها ، مثل מלאך ملاك – رسول الرب ، و עץ خشب أي كمادة ، و מנחה هدية أو قربان في العبادة بالمعبد ، وهناك كلمات توراوية توزع معناها بين كلمات مختلفة ، مثل الفعل " לקח أخذ " ، التي حلّت مكانها الأفعال " סילק سحب " ، " נטל تناول " ، " קיבל حصل على " .. أي كل واحد منهما بمعنى خاص ، بينما استمر الفعل " לקח أخذ " في الاستعمال بمعنى " קנה اشترى " .

وهناك بعض الكلمات التوراوية استعملت في لغة الأحبار بمعنى جديد ، مثل : " אסר حبس " بمعنى " מנע על פי הדין منع بناءً على حكم " ، و" עולם عالم "

بمعنى مكاني وليس بالمعنى الزمني فقط . أما الكلمة الجديدة في لغة الأحبار فهي أحيانا لا تكون موجودة كلية في التوراة ، وأحيانا أخرى توجد في التوراة ككلمة وحيدة أو نادرة ومثال ذلك : " ספינה سفينة " حيث وردت في سفر يونا ١ : ٥ " فأرسل الرب ريحا شديدة إلى البحر فحدث نوء عظيم في البحر حتى كادت السفينة تنكسر " ؛ " כרס بطن " وردت في سفر إرميا: " כרש " ووردت كلمة " זמן زمن " في سفري أستير ونحميا ، و " תענית صوم " وردت في سفر عزرا ٩ : ٥ ، ومن بين الكلمات الجديدة تماما ما هو مأخوذ من الآرامية مثل " חוטם أنف ، " גיס كتيبة " ، אילן شجرة " ، ومنها ما هو مأخوذ من اليونانية واللاتينية مثل " סטרטה طريق ، נימוסיות فضائل ، דורון هبة " .

وقد اهتمت كتب اللغة بتوضيح وتفسير تلك الاختلافات في حصيلة الكلمات عن طريق المعاجم المفهرسة مثل المعجم المفهرس لألفاظ التوراة من ناحية والمعاجم المفهرسة لمؤلفات الأحبار من ناحية أخرى .

والسؤال المطروح الآن ما هو مصير هذا المعجم المزدوج في اللغة العبرية المعاصرة ؟

لا شك أن لكل كلمة أو مجموعة كلمات تاريخ مستقل ، فهناك كلمات تساقطت من الاستعمال الشائع وحافظت على بقائها في الاستعمال الأدبي : وهناك كلمات تستعمل اليوم بمعناها في لغة التوراة ، وأخرى تستعمل بمعناها في لغة الأحبار ، وكذلك بعض المفاهيم تم التعبير عنها بلغة التوراة ، و البعض الآخر بكلمة مشناوية ، وهناك من المترادفات انفصلت عن بعضها بتنوع معانيها ، بدون تفسير واضح لاستعمالاتها في المصادر واضطلع بها فقط البحث الأسلوبي (٣٨) ... فاستعملت كلمات مثل : אף أنف ، דרך طريق ، חג عيد ، חוקים قوانين ، עץ شجرة ، גבול حدّ ، ظل استعمالها كما هو في لغة التوراة ، وكلمات أخرى تستعمل بنفس معناها في لغة المشنا مثل : ספר حدّ : " חיל הספר سلاح الحدود " ، " ישובי הספר المستوطنات الحدودية " ، وتستعمل كلمات مثل טיפש غبي ، זבל

زبل ، גוי شعب غير يهودي ، נכנס دخل ، רצה أراد ، كما كانت تستعمل في لغة المشنا؛ وتستعمل كلمة " מספר عدد " التوراوية للدلالة على المعنى الرياضي ، بينما مرادفها المشناوي " מניין عدد " يستعمل كاسم فعل ، مثل : " מניין הקולות נמשך כל הלילה فرز الأصوات استمر طوال الليل " ، وللإشارة إلى اليهود العشرة وهو العدد الأدني لأداء صلاة الجماعة في الكنيس ... ومن الملاحظ أن الكلمة التوراوية تستعمل في حالات كثيرة بمستوى أسلوبي أرقى من مرادفتها المشناوية مثل : " אוויל مقابل טיפש غبي " ، لكن يمكن أن يحدث العكس أحيانا مثل " חמה شمس " الأدبية مقابل " שמש " في الحديث اليومي . "[٣٩]

وقد أحصى " بريتس פרץ " عددا من المترادفات التوراوية أظهر فروقا معنوية دقيقة بينها ، حيث أوضح مناسبة كل لفظ وملاءمته للتعبير عن جانب واحد من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد ، وفيما يلي بعض النماذج التي أفرد لها فصلا كاملا في كتابه " العبرية كما ينبغي עברית כהלכה " (٤٠) : אריג نسيج – قماش – בד كتان .

אריג : اسم عام لأشياء نسجت من خيوط ، فهناك אריג צמר قماش صوف ، אריג משי قماش حرير ، אריג כותנה قماش قطن ، אריג פשתן או בד قماش كتان ..... وهي كلمة مصدرها الأدب التلمودي .

בד : كتان . أحد أنواع الأقمشة . ومصدرها التوراة :

בזאת יבוא אהרון אל הקודש (ביום כיפור ، בגדים מיוחדים) .... כתונת בד קודש ילבש ומכנסי בד יהיו על בשרו ובאבנט בד יחגור ובמצנפת בד יצנוף : بهذا يدخل هارون إلى القدس (في يوم كيبور بملابس خاصة) ..... يلبس قميص كتان مقدسا وتكون سراويل كتان على جسده ويتنطق بمنطقة كتان ويتعمم بعمامة كتان . (اللاويين ١٦ : ٣ – ٤) .

ولذلك فإن منظمة أصحاب الورش في إسرائيل ، التي تنتج الأقمشة ، يطلق عليها الاسم اللغوي السليم : ארגון חרשתני האריג منظمة صانعي النسيج . "[٤١]

والسؤال المطروح الآن : ما سبب استعمال " בד كتان " في لغة الحديث اليومية وفي الصحافة بدلا من " אריג قماش – نسيج " ووراثة مكانها في اللغة ، فهناك الكثير من واضعي المعاجم العبرية يعتقدون أن " בד الكتان " (٤٢) تعني قماش أو نسيج ، لذلك نقرأ ونسمع كثيرا : הכינונו בדים שונים לכל ימות השנה أعددنا أقمشة مختلفة لكل أيام السنة ... والصواب הכינונו אריגים .

אקנה לי מעיל חורף עשוי בד חזק اشتريت معطفا شتويا مصنوعا من قماش متين . والأصوب עשוי אריג חזק .

דגן : حبوب (غلال الحقل من الحبوب كالقمح والشعير والأرز والشيلم) .

שפון – שיפון : شوفان – الشيلم (نوع من الحبوب يصنع منه الخبز الأسمر) .

إذاً דגן : هو اسم عام لغلال الحقل التي تستخدم حبوبها طعاما للإنسان والتي من بينها الشوفان ... وهي كلمة توراوية :

וברך פרי בטנך ופרי אדמתך ، דגנך ותירושך ויצהרך ..... ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك ، غلتك وخمرك وزيتك ... (التثنية ٧ : ١٣)

أما שיפון الشوفان . فهي إحدى أنواع الـ דגן الغلال أو الحبوب ، التي يصنع منه الخبز الأسمر ، فقد ورد في المشنا : חמישה דברים חייבים בחלה : החיטים והשעורים והכוסמין ושיבולת שועל ושיפון . خمسة أمور واجبة في خبز السبت : القمح والشعير والعلس (ضرب من الحنطة جيد) والجلبان (نوع من الغلال) والشوفان %חלה א : א) .

ومع ذلك فهناك من يخطئ ويقول לחם דגן خبز الحبوب ويقصد الخبز الأسمر بدلا من לחם שיפון . وربما يرجع السبب في ذلك إلى أنهم في وسط وشرق أوروبا يستعملون الاسم العام " דגן حبوب الغلال " للدلالة على نوع الغلال الموجود هناك بكثرة لأعداد الخبز وهو الشوفان .

דלת باب – פֶּתַח فتحة .

إن الفرق واضح بين " باب " و " فتحة " . فالفتحة : هي كوة أو فراغ خلال حائط ، بينما الباب : لوح مصنوع من مادة مثل الخشب أو الحديد أو الزجاج ، وما شابه ذلك . وقد حافظت مصادر اللغة على الفروق المعنوية الدقيقة بينهما :

והוא יושב פתח האהל وهو جالس عند باب الخيمة.(التكوين ١٨ : ١)

ויצא אליהם לוט הפתחה ، והדלת סגר אחריו . فخرج إليهم لوط إلى الباب وأغلق الباب وراءه (التكوين ١٩ : ٦) .

وفي العبرية المعاصرة توجد أخطاء لغوية في استعمالات هذين المترادفين ، فأصبح هناك ندرة في استعمالات الاسم " פתח فتحة " وحلت محلها كلمة " דלת باب " . على سبيل المثال :

מבקשים להיכנס בדלת הראשית من فضلكم الدخول من الباب الرئيس .

מבקשים לצאת דרך הדלת האחורית من فضلكم الخروج من الباب الخلفي .

ومن الفروق اللغوية الـ ابقة يتضح أنه من المستحيل الدخول والخروج عن طريق " הדלת الباب " إلا إ ا تم كسره ، ولذلك يجب القول أو الكتابة :

אנא היכנסו דרך הפתח (أو בעד הפתח أو בפתח) من فضلكم الدخول عن طريق الباب .

-אנא צאו דרך הפתח האחורי من فضلكم الخروج من الباب الخلفي .

وربما يرجع السبب في الاستعمال اللغوي الخاطئ لهذين المترادفين ، إلى استعمال التوراة أحيانا لكلمة " דלת باب " بمعنى " פתח فتحة " مثل :

והיה כל אשר יצא מדלתי ביתך החוצה فيكون أن كل من يخرج من أبواب بيتك إلى الخارج (يشوع ٣ : ١٩)

והיה היוצא ، אשר ייצא מדלתי ביתי לקראתי בשובי בשלום فالخارج

الذي يخرج من أبواب بيتي للقائي عند رجوعي بالسلامة . (القضاة ١١ : ٣١) .

لكن رغم هذه الحالات النادرة فإن ليس كل شاذ يبطل القاعدة .

-קור برودة – כפור جليد

ذكرت إحدى المجلات الأسبوعية أن متسلق جبال مشهور قد تسلق جبلا عاليا مع عدد من الأصدقاء ومات أربعة منهم من الجليد (כפור) .

إن استعمال كلمة " الجليد כפור " بهذا المعنى يؤدي إلى الدهشة ، فكيف يتسبب الجليد في موت الناس ، فكلمة כפור تعني الندى أو الماء الذي تجمد من البرودة وكوّن طبقة رقيقة من الجليد أو الثلج ، وكذلك البخار الذي يتجمد فوق زجاج النافذة ، ولذلك فإن الكاتب قد أخطأ في هذا الاستعمال وأبدل كلمة " הקור البرودة " بكلمة " כפור الجليد " ، ونجد هذه الفروق المعنوية واضحة في التوراة : ותעל שכבת הטל .... דק ככפור על הארץ

وارتفعت طبقة الندى ... دقيق كالجليد على الأرض (الخروج ١٦ : ١٤) .

הנותן שלג כצמר ، כפור כאפר יפזר . الذي يعطي الثلج كالصوف ويذري الصقيع كالرماد . (المزامير ١٤٧ : ١٦)

وهناك كلمة أخرى وردت في التوراة وهي مرادفة لكلمة קור ومساوية لها في المعنى ، وهي קרה : לפני קרתו מי יעמוד ؟ قدام برده مَن يقف ؟ (المزامير ١٤٧ : ١٧) .

-ואין כסות בקרה وليس لهم كسوة في البرد (أيوب ٢٤ : ٧) .

-רגע لحظة – דַקָה دقيقة .

في لغة التوراة :

רגע : جزء صغير من الزمن ، رجع البصر ، هنيهة :

-רגע אחד אעלה בקרבך וכליתיך

إن صعدت لحظة واحدة في وسطكم% الخروج 33: 5)

-חבי כמעט רגע עד יעבר זעם

اختبئ هنيهة حتى يعبر الغضب . (أشعيا ٢٦ : ٢٠).

أيضا وقف الأدب التلمودي على الفروق المعنوية بين רגע لحظة و דקה دقيقة : הרגע כהרף עין اللحظة كرجع البصر (التلمود الأورشليمي . براخوت ١ : ١) .

وأبدى " טור- סיני طور سيناء " ملاحظته على المادة المعجمية " רגע " في قاموس ابن يهوذا ، فذكر : " هناك مَن يقولون ويكتبون רגע لحظة في موضع " דקה دقيقة " أو " דק دقيق " بمعنى واحدة من ستين في الساعة وهذا ليس استعمالا صحيحا " (٤٣).

ب – القرآن الكريم :

أما القرآن الكريم ، فقد جاء – منهجا ومعجزة – يخاطب العرب بلغتهم الموحدة التي أقرت الترادف – كما ذكرنا – واستعانت به في تنوع الأساليب ... وكان من البدهي أن يستعمل القرآن هذه الظاهرة اللغوية الرائعة ، حتى لا يكون في تركه لها إهدار منه لقيمها البلاغية وذخيرتها اللغوية ، ولتتجلى في استعماله دقة الأحكام وإعجاز البيان .

وقد يجوز القول بورود الترادف في القرآن الكريم ، حين ننظر إلى ألفاظه نظرة إفراد ، أما حين ننظر إليها في نسقها ومقاماتها فإننا نجد اللفظة مفردة بغير نظير ، قد اكتسبت من ثراء الدلالة ودقة المعنى مما لا يتوفر لمرادفها ....

وقد أشار الزركشي في حديثه عن أساليب القرآن وفنونه البليغة ، إلى وقوع الترادف في بعض ألفاظه للتأكيد اللفظي أي تقرير معنى الأول بلفظه أو مرادفه وعدّ من المرادف قوله تعالى : (فجاجا سبلا) – سورة الأنبياء ٣١ – و (ضيقا حرجا) – سورة الأنعام ١٢٥ – و (غرابيب سود) – سورة فاطر ٢٧ – وعدّ منه

أيضا الحال المؤكدة (٤٤) ، ومثل لها بقوله تعالى (فتبسم ضاحكا من قولها) – سورة النمل ١٩ – لأن معنى (تبسم) ضحك مسرورا ، والتولية والإدبار في قوله تعالى : (ولى مدبرا) . سورة النمل ١٠ ، (ثم توليتم مدبرين) سورة التوبة ٢٥ ، إلا أن هناك من العلماء مَن نازع في هذا التأكيد ، لأن الحال المؤكدة مفهومها مفهوم عاملها ، وليس كذلك التبسم والضحك ، فإنه قد يكون من غير ضحك ، بدليل قوله : " تبسم تبسّم الغضبان " ، وكذلك " التولية والإدبار " فإنهما بمعنيين مختلفين ، فالتولية أن يولي الشئ ظهره والإدبار أن يهرب منه ، فليس كل مولٍ مدبرا ، ولا كل مدبر مولياً ؛ ونظيره قوله تعالى : (إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) سورة النمل ٨٠ ، فلو كان أصم مقبلا لم يسمع ، فإذا ولى ظهره كان أبعد له من السماع ، فإذا أدبر مع ذلك كان أشدّ لبعده عن السماع . ومن الدليل على أن التولي لا يتضمن الإدبار قوله تعالى : (فول وجهك شطر المسجد الحرام) سورة البقرة ١٤٤ ، فإنه بمعنى الإقبال ، وقوله : (ولم يعقب) النمل ١٠ ، إشارة إلى استمراره في الهروب وعدم رجوعه ، يقال : فلان ولّى إذا رجع ، وكل راجع معقب ، وأهل التفسير يقولون لم يقف ولم يعقب [٥٠].

وعدّ الزركشي عطف أحد المترادفين على الآخر من التأكيد ، وقال إنه يكثر في المفردات ، مثل قوله تعالى : " فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا " . (سورة آل عمران ١٤٦) .

" فلا يخاف ظلما ولا هضما " . (سورة طه ١١٢) .

" لا تخاف دركا ولا تخشى " . (سورة طه ٧٧) .

" ثم عبس وبسر " (سورة المدثر ٢٢) .

" إنما أشكو بثي وحزني إلى الله " (سورة يوسف ٨٦) .

" لا تبقي ولا تذر " (سورة المدثر ٢٨) .

" وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه " (سورة النساء ١٧١) .

" لا ترى فيها عوجا ولا أمتا " (سورة طه ١٠٧) .

" أنا لا نسمع سرهم ونجواهم " (سورة الزخرف ٨٠) .

" لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا " (سورة المائدة ٤٨) .

" لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب " (سورة فاطر ٣٥) .

إلا أن الزركشي يعود فيتناول العديد من مترادفات القرآن الكريم بالدراسة الفاحصة مبينا ما بينها من فروق دقيقة ودلالات مميزة مؤكدا بذلك عدم الترادف التام بينها ، ومما تناوله لفظا " عمل وفعل " وقد قال في الفرق بينهما أن العمل أخص من الفعل ، كل عمل فعل ولا ينعكس ؛ ولهذا جعل النحاة الفعل في مقابل الاسم ؛ لأنه أعم ، والعمل من الفعل ما كان مع امتداد ؛ لأنه " فَعِل " وباب " فعِل " لما تكرر..

وقد اعتبره الله تعالى ، فقال : " يعملون له ما يشاء " (سورة سبأ ١٣) ، حيث كان فعلهم بزمان . وقال : " ويفعلون ما يؤمرون " (سورة النحل ٥٠) ، حيث يأتون بما يؤمرون في طرفة عين ، فينقلون المدن بأسرع من أ ن يقوم القائم من مكانه .

وقال تعالى : " مما عملت أيدينا " (سورة يس ٧١) ، وما عملته أيديهم " (سورة يس ٣٥) ، فإن خلق الأنعام والثمار والزروع بامتداد ، وقال : " كيف فعل ربك بأصحاب الفيل " (سورة الفيل ١) ، " ألم تركيف فعل ربك بعاد " (سورة الفجر ٦) ، " وتبين لكم كيف فعلنا بهم " (سورة إبراهيم ٤٥) ، فإنها إهلاكات وقعت من غير بطء . وقال : " وعملوا الصالحات " (سورة البقرة ٢٥) ، حيث كان المقصود المثابرة عليها ، لا الإتيان بها مرة ... وقال : " وافعلوا الخير " (سورة الحج ٧٧) ، بمعنى سارعوا . كما قال : " فاستبقوا الخيرات " (سورة البقرة ١٤٨)، وقال: " والذين هم للزكاة فاعلون " (سورة المؤمنون ٤) ، أي يأتون بها على سرعة من غير توانٍ في دفع حاجة الفقير ، فهذا هو الفصاحة في اختيار الأحسن في كل موضع.

ومن ذلك " القعود " و " الجلوس " ، ومما قاله الزركشي في الفرق بينهما : إن

القعود لا يكون معه لبثة ، والجلوس لا يعتبر فيه ذلك ؛ ولهذا تقول : " قواعد البيت " ولا تقول : " جوالسه " ؛ لأن مقصودك ما فيه ثبات ؛ والقاف والعين والدال كيف تقلبت دلت على اللبث ؛ و القعدة بقاء على حالة ، والدقعاء للتراب الكثير الذي يبقى في مسيل الماء وله لبث طويل ؛ وأما الجيم واللام والسين فهي للحركة ، منه السجلّ للكتاب يطوى له ولا يثبت عنده ، ولهذا قالوا في قَعَد : يَقْعُد بضم الوسط ، وقال : جلس يجلِس بكسره ؛ فاختاروا الثقيل لما هو أثبت .. إذا ثبت هذا فنقول : قال الله تعالى : " مقاعد للقتال " (آل عمران ١٢١) ، فإنّ الثبات هو المقصود . وقال : " اقعدوا مع القاعدين (التوبة ٤٦) ، أي لا زوال لكم ، ولا حركة عليكم بعد هذا . وقال : " في مقعد صدق " (القمر ٥٥) ولم يقل " مجلس " إذ لا زوال عنه .. وقال: " إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس " (المجادلة ١١) إشارة إلى أنه يجلس فيه زمانا يسيرا ليس بمقعد ؛ فإذا طُلب منكم التفسح فافسحوا ، لأنه لا كلفة فيه لقصره ، ولهذا لا يقال : قعيد الملوك ، وإنما يقال : جليسهم ، لأن مجالسة الملوك يستحب فيها التخفيف ؛ والقعيدة للمرأة ، لأنها تلبث في مكانها .

ومن ذلك " التمام " و " الكمال " ، وقد اجتمعا في قوله تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي " (المائدة ٣) ، والعطف يقتضي المغايرة . فقيل : الإتمام لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل ؛ ولهذا كان قوله تعالى : " تلك عشرة كاملة " (البقرة ١٩٦) ، أحسن من " تامة " فإن التمام من العدد قد عُلِم ؛ وإنما بقي احتمال نقص في صفاتها .... وقيل " تمّ " يشعر بحصول نقص قبله ، " وكمل " لا يشعر بذلك ؛ ومن هذا قولهم : رجل كامل ، إذا جمع خصال الخير ، ورجل تام إذا كان غير ناقص الطول . وقال العسكري : الكمال اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به ، والتمام اسم للجزء الذي يتم به الموصوف ؛ ولهذا يقولون : القافية تمام البيت ، ولا يقولون كماله ، ويقولون : البيت بكماله . [٦٦]

وكان " الجويني " رحمه الله يطيل الوقوف عند المترادفات في القرآن الكريم ،

يتأملها ويستشف أسرارها ، وقد نقل عنه الزركشي قوله في الفرق بين الإتيان والإعطاء حيث يقول : " لا يكاد اللغويون يفرقون بين " الإعطاء " والإتيان ، وظهر لي بينهما فرق انبنى عليه بلاغة في كتاب الله ، وهو أن الإتيان أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله، لأن الإعطاء له مطاوع ، يقال : أعطاني فعطوت ، و لا يقال في الإتيان : أتاني فأتيت ، وإنما يقال : أتاني فأخذت]و] الفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الذي لا مطاوع له ؛ لأنك تقول : قطعته فانقطع ، فيدل على أن فعل الفاعل كان موقوفا على قبول المحل ، لولاه لما ثبت الفعل ؛ ولهذا يصحّ : قطعته فما انقطع ، و لا يصحّ فيما لا مطاوع له ذلك ، فلا يجوز أن يقال : ضربته فانضرب أو ما انضرب ، ولا قتلته فانقتل أو ما انقتل ، لأن هذه أفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في المحلّ ، والفاعل مستقل بالأفعال التي لا مطاوع لها ، فالإتياء إذاً أقوى من الإعطاء . قال : وقد تفكرت في مواضع من القرآن ، فوجدت ذلك مراعى ، قال الله تعالى في الملك : " تؤتي الملك من تشاء " (آل عمران ٢٦) لأن الملك شئ عظيم لا يعطيه إلا من له قوة ، ولأن المِلك في الملك أثبت من المِلك في المالك ؛ فإن المِلك لا يخرج من يده ، وأما المالك فيخرجه بالبيع والهبة ؛ وقال تعالى : " يؤتي الحكمة " (البقرة ٢٦٩) ، لأن الحكمة إذا ثبتت في المحل دامت ؛ وقال : " آتيناك سبعا من المثاني " (الحجر ٨٧) ، لعظمتها وتفردها ، وقال : " إنا أعطيناك الكوثر " (الكوثر ١) لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأمته يردون على الحوض ورود النازل على الماء ، ويرتحلون إلى منازل العز والأنهار الجارية في الجنان ، والحوض للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته عند عطش الأكباد قبل الوصول إلى المقام الكريم ، فقال فيه : " إنا أعطيناك " ، لأنه يترك ذلك عن قرب ، وينتقل إلى ما هو أعظم منه ،وقال : " أعطى كل شيء خلقه " (طه ٥٠) ، لأن من الأشياء ما له وجود في زمان واحد بلفظ الإعطاء ، وقال: " ولسوف يعطيك ربُك فترضى " (الضحى ٥) ، لأنه تعالى بعد ما يرضي النبي صلى الله عليه وسلم يزيده وينتقل به من كلّ الرضا إلى أعظم ما كان يرجو منه ، لا بل حال أمته كذلك ، فقوله : " يعطيك ربك " فيه بشارة . وقال : " حتى يعطوا الجزية

عن يدٍ " (التوبة ٢٩) لأنها موقوفة على قبولٍ منا ، وهم لا يؤتون إيتاء عن طيب قلب ، وإنما هو عن كره ، إشارة إلى أن المؤمن ينبغي أن يكون إعطاؤه للزكاة بقوة ، لا يكون كإعطاء الجزية ولذلك قرن الله تعالى لفظ الزكاة بالفعل أتى واشتقاقاته في سبعة وعشرين موضعا في القرآن الكريم ، إشارة إلى أن المؤمن ينبغي أن يكون إعطاؤه للزكاة بقوة (إتيان) لا يكون كإعطاء الجزية ... وختم الجويني تفسيره بقوله : فانظر إلى هذه اللطيفة الوقِفة على سرّ من أسرار الكتاب " [٤٧]

ورغم هذه الجهود الرائعة من العلماء اللغويين والمفسرين التي أكدت على أصالة اللفظ القرآني وتفرده ، وتوصلهم إلى بطلان التأكيد الصناعي بين مترادفاته ، إلا أن هناك مِن الباحثين المحدثين مَن ذهب إلى القول بوجود الترادف التام بين ألفاظ القرآن الكريم وقال : " لا معنى لمغالاة بعض المفسرين حين يلتمسون في كل لفظ من ألفاظه شيئا لا يرونه في نظرائه " [٤٨]

وهذه الآراء وما ينحو نحوها مرفوضة من جهة البيان المحكم ، ولا تستقيم مع لغة القرآن الذي تقتضي دقة الإحكام في بيانه أن يستعمل المترادفات استعمالا معجزا يكشف عن الملاحظة الدقيقة في دلالة ألفاظه وظلال معانيه وجرس أصواته ، وفاء منه بنسق المقامات وبلاغة التعبير . وقد نقبل من العلماء أن يفسروا اللفظة منه بمرادفها لتبسيط معانيها وتقريبها إلى الأفهام ، أما أن يقفوا بمعانيها عند حدود الدلالات العامة والمعاني المشتركة التي تجعل منها مجرد ألفاظ مكررة ومعان فهذا ما لا نقبله في كلام تحدى الله به في معرض الإعجاز.

وإن جاز وقوع الترادف في لغة العامة من المثقفين ، فإن وقوعه في لغة الخاصة من البيانيين عيب وقصور ، لأنه الباب الذي يتفاضل فيه البلغاء بدقة البيان وأحكام البلاغ ... أما وقوعه في لغة القرآن فغير وارد على الإطلاق لأنه كلام فصلت عباراته وأحكمت ألفاظه ووضع كل حرف فيه بإتقان بديع .. والقول به أمر خطير ، مهما قيل فيه من دعوى التأكيد ، أو التنويع ، وموضع الخطورة فيه ، أنه يفتح بابا للجرأة على النص القرآني فيقرءونه بالمعنى ويترخصون في ألفاظه فيحلون

اللفظ محل مرادفه ، وهذا ما لا يقول به مؤمن له فضل اتصال بسمو العبارة القرآنية وثرائها وأسرارها .[٤٩]

وحين نفرغ إلى القرآن الكريم نستهديه الرأي في قضية الترادف ، نجد فيه خير هدى ورشاد ، فهو يرشدنا في آية صريحة إلى أن الألفاظ وإن ترادفت في المعاني المشتركة فإنها تتمايز في مواضعها في الأسلوب الحكيم . وإن اللفظة منه لتأتي أفضل ما تكون بيانا في مقام . نابية مستهجنة في مقام سواه ، في الآية الكريمة : " يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا " (البقرة ١٠٤)[٥٠].

يرشدنا القرآن إلى ضرورة الدقة في اختيار اللفظ المناسب لمقام التعبير ، فهو ينهى عن لفظ جاء في غير موضعه ويأمر بمرادفه الذي يفضله في هذا المقام ، مما يؤكد وجود المعاني الفارقة والخصائص المتمايزة بين المترادفات .

والحقيقة أن كلمة (راعنا) كانت تجري على ألسنة اليهود مجرى السخرية والاستهزاء وكان سفهاؤهم يميلون ألسنتهم فينطق هذا اللفظ ، وهم يوجهونه للنبي – صلى الله عليه وسلم – حتى يؤدي معنى آخر مشتقا من الكلمة العبرية (رع ٦٧) التي تعني : سيء – رديء –خبيث – شرير – دنيء ، وقد اختاروا هذا اللفظ لهذه المعاني نكاية في المصريين القدماء الذين كانوا يعبدون الإله (رع) ، ثم أخذوا يستهزئون من المسلمين الذين كانوا يحرصون أشد الحرص على سماع الرسول – عليه الصلاة و السلام – والفهم عنه ، فكانوا إذا ألقي عليهم شيئا من العلم وخافوا فوته قالوا (راعنا) يا رسول الله ، أي أمهلنا حتى نحفظ عنك ، فاستغل اليهود التشابه الصوتي بين (راعنا) العربية و (راعينوا) العبرية أي شريرنا ، فكانوا يلوون ألسنتهم قصدا لمعنى الشتم والسباب في مخاطبته عليه السلام ، وهذا ما سجله القرآن عليهم في الآية الكريمة : " من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا . واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم " (النساء ٤٦) .

وهكذا جاء النهي للمؤمنين عن اللفظ الذي يتخذه اليهود ذريعة ، وأمروا أن

يستبدلوا به مرادفه في المعنى ، الذي لا يملك السفهاء تحريفه وإمالته ، كي يفوتوا على اليهود غرضهم الصغير السفيه ...

واستخدام مثل هذه الوسيلة من اليهود يشي بمدى غيظهم وحقدهم ، كما يشي بسوء الأدب ، وخسة الوسيلة ، وانحطاط السلوك ، والنهي الوارد بهذه المناسبة برعاية الله لنبيه وللجماعة المسلمة ، ودفاعه – سبحانه – عن أوليائه ، بإزاء كل كيد وكل قصد شرير من أعدائهم الماكرين . [٥١]

وهكذا فإن هذا البيان الواضح من القرآن الكريم يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن لغة القرآن لا تقر الترادف بمعناه العام ، وإنما تحتفظ لكل لفظة منه بمقامها الخاص ومعناها المميز . الأمر الذي يجعل من ألفاظه مهما ترادفت وتقاربت ذوات مستقلة لا تتماثل ولا تتكرر ولا تتبادل مواضعها في الدلالة أو السياق .

وقبل الحديث عن ترجمة بن شيمش وإشكالية ترجمة المترادفات ، كان لابد من الوقوف على الترجمات العبرية الكاملة للقرآن الكريم والتي سبقت ترجمة بن شيمش ، وذلك لمعرفة إلى أي مدى كان الالتزام والأمانة في الترجمة هما من أسس المنهج المتبع في تلك الترجمات ، وإلى أي مدى كان تدخل المترجم في النص القرآني المقدس من خلال ما يحمله من رؤى استشراقية تبحث دومًا عن نقاط الضعف في القرآن الكريم من أجل الحدّ من تأثيره القوي في هداية غير المسلمين إلى الإسلام ، وإن كانت هناك رؤية استشراقية أخرى جديرة بالتسجيل حيث نظرت إلى البحث العلمي بحيدة ونزاهة وأرادت فهم القرآن الكريم على حقيقته وإدراك جوهر الإسلام وعظمته ، فقد سجّل الشاعر الألماني جوته في ملاحظاته أن " القرآن في أسلوبه وأغراضه ومضمونه قوي ومثمر ، ويمتلك حكمة وحقيقة ، ولا يجوز لأحد أن يتعجب من فاعلية هذا الكتاب وأثره " .[٥٢]